# الأصول الشرقية للإغريق

## (دراسة مقارنة بين الأعمال الفنية في مجالي التصوير والنحت والمصنّفة إغريقية مع تلك السابقة أو المعاصرة لها التي عثر عليها في منطقة الهلال الخصيب.)

**د. عبد ا صالومة***

**الملخص**

بحثنا هذا هو دعم لبحوث الدكتور أحمد داوود - ومن قبله الباحث بيير روسي - عن أصول الإغريق، بحوث تُظهر بأن "الإغريق" يعودون لأصول شرقية انطلقت من الهلال الخصيب استناداً إلى شواهد لغوية وجغرافية ووثائق تاريخية... يعتمد بحثنا على الآثار الفنية في مجالي التصوير والنحت، إذْ قارنا بين الأعمال الفنية المصنّفة "إغريقية" وبين تلك السابقة أو المعاصرة لها من الآثار الفنية التي عثر عليها في الهلال الخصيب، من حيث الأسلوب المميز والتقنية والصفات العرقية للشخوص الممثلة في هذه الأعمال، وقد ظهر التشابه الواضح، رغم بعض التنوعات المحلية، تشابه فني وتطابق مواصفات عرقية يعكسان الأصول الشرقية للإغريق، مع التطور المستمر لهذه الفنون التشكيلية منطلقة من أرضها الأم "الهلال الخصيب" مروراً بأراضي الانتشار "بلاد الإغريق"، ثم عودة إلى تلاحمها مع جذورها بنتاج فني واحد في "الحقبة الهلنستية".

الكلمات المفتاحية: "الهلال الخصيب"، إغريق، شرقي، فن، تصوير، نحت، تاريخ.

* دكتور في تاريخ الفن - قسم التصوير - كلية الفنون الجميلة - جامعة دمشق.

**المقدمة:**

هذا البحث ليس بحثاً ينطلق من رؤية غير مسبوقة نطرحها – بوصفي باحثاً في تاريخ الفن – وإنما هو بحث داعم أو مرادف لبحوث تاريخية سابقة أطلقها الباحث الفرنسي بيير روسي، ثم طورها وزاد من توثيقها الباحث السوري أحمد داوود في سلسلته المعنونة "سورية وعودة الزمن العربي"، ونحن هنا نتناول الجزء الرابع من سلسلة الباحث داوود المخصص للحقبة الإغريقية (داوود، د. أحمد، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، الكتاب الرابع من سلسلة "سورية وعودة الزمن العربي"، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2004.)، إذْ قدمنا في بحثنا هذا لمحة عامة عن هذا الكتاب مدعمةً بالاقتباسات من المصادر التي أفاد منها الباحث داوود وناقشها، ثم دعمنا بحث الدكتور داوود عن طريق منهج يعتمد على المقارنة بين الأعمال الفنية في مجالي التصوير والنحت، مستفيدين من الأساليب والتقنيات الفنية المتشابهة، بل والمتماثلة أحياناً، كما أبرزنا الخصائص العرقية (الأعراق البشرية) التي تظهر في الأعمال الفنية كدليل على الأصول الشرقية للإغريق.

**لمحة عامة:**

استعرض الدكتور داوود تاريخ منطقة الهلال الخصيب (سورية الكُبرى أو بلاد الشام وبلاد الرافدين/فلسطين والأردن ولبنان وسورية والعراق بحسب التقسيم المعاصر) بصفته تاريخاً مستمراً ومتواصلاً لشعب واحد، تمثّل بأعظم مراحله في مراحل قيام الدولة الموحدة المركزية منذ أيام "سرجون": <<وقد حافظت هذه الدولة المركزية على وحدة المنطقة معظم العصور وفي مراحلها الثلاث الأكادية والبابلية والآشورية، أي طيلة عهود شاروكينو، وشولجي، وأورنامو، ونارام سين، وحمورابي، وسنحاريب، ونبوخذ نصر، وآشور بانيبال... يقول ول ديورانت عن آخر مرحلة من مراحل مجد هذه الدولة زمن الملك آشور بانيبال (نحو 700 ق.م.): "إن حكومة آشور بانيبال أقامت غربي آسيةحكماً كفل لهذا الإقليم قسطاً من النظام والرخاء أكبر مما استمتع به هذا الجزء من الأرض فيما نعلم قبل ذلك العهد. ذلك أن حكومة آشور بانيبال كانت تضم تحت جناحيها بلاد آشور، وبابل، وأرمينيا، وميديا، وفلسطين، وسورية، وفينيقيا، وسومر، وعيلام، ومصر. فكانت بلا جدل، أوسع نظام إداري شهده عالم البحر المتوسط أو عالم الشرق الأدنى حتى ذلك العهد، ولم يدانِ آشور بانيبال فيه إلا حمورابي"[1]. ويؤكد جيمس برستد ذلك بالقول: "وفي سنة 700 ق.م. كانت آشور تضم أراضي الهلال الخصيب جميعها، ولم تكتف بذلك، بل وسعت نطاق سلطانها حتى شمل البلاد الجبلية الشمالية وما وراءها إلى مدى بعيد. وبفتحها لمصر بسطت حمايتها على الجهة الغربية من وادي النيل الأسفل... وظلت جارية في مجرى الشدة والقوة حتى صارت أعظم مملكة رآها العالم منذ وجد. ولم تكن دولة في العالم تجرؤ على مناوأتها"[2].>>[3] ولا يمكن اعتماد اختلاف التسميات للممالك تعبيراً عن تعدد للشعوب، فشعب المنطقة هو شعب واحد تغيرت تسميات ممالكه تبعاً لنفوذ

[1] ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الجزء الثاني، ص278.

[2] بريستد، جيمس، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، مؤسسة عـز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص166.

[3] داوود، أحمد، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، الكتاب الرابع من سلسلة "سورية وعودة الزمن العربي"، دار الشرق للطباعـة والنـشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2004، ص26 – 27.

الأسر الحاكمة وعواصمها المتغيرة، يقول هيرودوت: <<كان الأغارقة يسمون الآشوريين سوريين، والبرابرة يسمونهم آشوريين، وكان الكلدان من ضمنهم>>[1]، وتمثّلت وحدة الشعب بشكلها السياسي في مراحل مختلفة كانت فيها السلطة المركزية – لأسرة ما بعاصمة ما – في مرحلة قوة وامتداد نفوذ على كامل الهلال الخصيب، ويجمل الدكتور أحمد داوود ما طرحه في بحوثه عن الدولة المركزية: <<وعرفنا فيما سبق كيف أن الدولة السورية المركزية منذ أن أسسها سرجون الأكادي شملت كل الرقعة الممتدة مابين وادي السند شرقاً إلى اليونان غرباً. وهي الدولة التي كلما نجحت فيها قوى الانفصال الداخلية أو الغزوات الهمجية الخارجية في فرط عقد وحدتها، كانت تهب من جديد لإعادة لحمة الدولة، بل إلى توسيع رقعتها أحياناً كما حدث زمن نارام سين وحمورابي ونبوخذ نصر وآشور بانيبال. أي إن استمرار هذه الدولة بقي يؤكد نفسه منذ أواخر الألف الرابع وحتى نحو 700 ق.م.>>[2]

عبر تلك العصور من قوة نفوذ الدولة المركزية "السورية" وامتدادها (على أرض الهلال الخصيب)، كان الانتشار الحضاري نحو أوروبا ينطلق، بشكل بطيء أطلق عليه الدكتور داوود صفة: "الانتشار الطبيعي"، من الشرق المتمدن نحو الغرب عبر معابر هي: <<يقول جيمس بريستد: "في العصر الحجري المتأخر كانت جزر بحر إيجه مراكز فرعية لمدنيات الشرق العظيمة التي وجدت قديماً في وادي الفرات والنيل. فأول نشوء للمدينة الأوروبية لم يكن في اليونان بل في بحر إيجه... وكانت كريت في أول عهدها في الرتبة الأولى حضارة بين جزر إيجه جميعها... وكانت عند فجر المدنية كأنها جزء من الشرق مثل القسطنطينية اليوم"[3].

"أما الجانب الآسيوي من بحر إيجه فقد سبق الجانب الأوروبي في مضمار التقدم زمناً مديداً"[4].

ويقول ديورانت: "ومبلغ ما نستطيع أن نهتدي إليه بظننا أن المسينيين (أي أهل موكيني) كانوا يمتون بصلة القرابة العرقية للفريجيين والكاريين سكان آسية الصغرى... وللأسدين اللذين وجدا في مسيني وجهان شبيهان بأسود ما بين النهرين"[5]. "وما من شك أن أفروديت كانت في مواطنها الأولى بالشرق الأدنى"[6] وكذلك أرتميس[7].>>[8].

وهكذا بدأ الانتشار الحضاري من الهلال الخصيب ومدنياته العريقة نحو أوروبا، وهو انتشار بطيء حمل معه بذور الحضارة نحو الغرب منطلقاً من الهلال الخصيب وآسية الصغرى مروراً بجزر بحر أيجه وجزيرة كريت وصولاً إلى اليونان، وكانت جزيرة كريت المحطة الأبرز: <<يقول ليونارد وولي: "حينما بنَتْ كريت حضارتها القصرية في فايستوس وماليا وكنوسوس (2000 – 1700 ق.م) بقيت متجهة نحو ممالك الشرق الأدنى الكبرى. فبين القصور

[1] تاريخ هيرودوت الشهير، الكتاب السابع، 63، ترجمة حبيب أفنـدي بسترس، مطبعة القديس جورجيوس، بيروت، 1887، ص462.

[2] داوود ، تاريخ سوريا الحضاري القـديم – 2، المرجـع الـسابق، ص42، ملخصاً بحوثاً سابقة له: الكتابين الأول والثالث مـن سلـسلة "سورية وعودة الزمن العربي".

[3] بريستد، العصور القديمة، المرجع السابق، ص244 – 245.

[4] المرجع نفسه، ص258.

[5] ديورانت، قصة الحضارة، الجزء السادس، كريت، المرجع الـسابق، ص59.

[6] المرجع نفسه، ص335.

[7] المرجع نفسه، ص332.

[8] داوود ، تاريخ سورية الحضاري القـديم – 2، المرجـع الـسابق، ص40.

الكريتية وتلك التي أظهرها التنقيب الأخير في ألالاخ عند انعطاف العاصي، وفي ماري على طريق القوافل التي تربط بلاد مابين النهرين والبحر ظهر التشابه صارخاً إلى حد أننا نرى فيه عمل المدرسة نفسها من المهندسين والرسامين والجداريين"[1].>>[2] وأيضاً: << يقول ديورانت: "أصعب ما يواجهنا في حضارة الكريتيين هو لغتهم. فالكريتي حينما يستخدم الحروف الهجائية اليونانية بعد غزو الدوريين بلاده إنما يستخدمها ليدون بها كلاماً يختلف كل الاختلاف عن الكلام اليوناني المعروف وأقرب منه شبهاً بلغات الشرق الأدنى... وقد اقتصر في أقدم العصور على الرموز التصويرية. ثم بدأ نحو عام 1800 ق.م. يختصر هذه الرموز إلى نحو تسعين علامة مقطعية. وبعد مئتي عام من ذلك الوقت استنبط نوعاً آخر من الكتابة تشبه الحروف الهجائية الفينيقية"[3].>>[4]

ويستمر هذا "الانتشار الطبيعي"، من الهلال الخصيب وصولاً إلى اليونان، إلى أن ظهر ما يدعى بـ "المعجزة الأغريقية" في ما يسمى بـ "العهد الكلاسيكي"، وهي "المعجزة" التي حيرت الباحثين والمؤرخين، ويبرز الدكتور داوود بعض التحليلات عن هذه "المعجزة" متهكماً على التهرب من إيجاد تفسيرات منطقية لها: <<يقول كيتو: "إن الازدهار المفاجئ للثقافة الأثينية في القرن الخامس كثيراً ما يسمى "معجزة" أو "آتية من الرب". غير أن أحد أصحاب المؤلفات الطبية من الإغريق عبر عن حكمة عظيمة بقوله لأنه لا يوجد مرض يشذ عن القاعدة، بل الأمراض كلّها طبيعية، وكلها آتية من الرب"[5].

هكذا! الحضارة تأتي بـ "معجزة" من الرب، كما يأتي المرض! وفي هذا حكمة عظيمة!

ويقول برانراند راسل: "ليس في تاريخ البشرية ما يثير الدهشة، ويتعذر تعليله، كالظهور المفاجئ للمدنية اليونانية"[6].>>[7].

يعتمد الدكتور داوود في قسم كبير من بحوثه على الإرجاع اللغوي للأسماء والكلمات إلى أصولها السريانية لفهم معانيها، ومن هنا ينطلق تفسيره لما دعي بـ "المعجزة الإغريقية":

<<إن كلمة "إغريق" سورية سريانية، وهي في القاموس السرياني "عريقو" وتعني: نازح، هارب، فار. وهي من الفعل "عرق" ويعني: غرق، هرب، فر، نجا، أفلت، تجنب، ابتعد، عبر، زال. ولما كانت الأبجدية السريانية هي من "أبجد" إلى "قرشت" فإن صوت "العين" فيها – وكما سبق أن

---

[1] Cf. Leonard Woolley, A Forgotten Kingdom, London, 1953, et Andre Parrot, Mission Archeologique de Mari, II, Paris, 1958. فرنان، جان بيار، أصول الفكر اليوناني، ترجمة سليم حداد، بيروت 1987، ص9.

[2] داوود، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، المرجع السابق، ص 295.

[3] ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الأول، المرجع السابق، ص31 – 32.

[4] داوود، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، المرجع السابق، ص 314.

[5] كيتو، هـ.د.، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي، 1962، ص123.

[6] راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، 1949.

[7] داوود، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، المرجع السابق، ص121.

شرحنا في بحث اللغة – كان يحلّ محل "الغين"، وهو ما أظهرته العربية الفصحي وصار "إغريق".>>[1]

ليخلص الدكتور داوود إلى تعليل ما دعي بـ "المعجزة الأغريقية" عن طريق تقديم تفسير بسيط ومنطقي لهذه "المعجزة" وذلك عن طريق المقابلة بين تاريخ سقوط بابل بيد الفرس "الإخمينيون" ومقارنته ببزوغ "المعجزة الإغريقية": <<إن الأمر جد واضح لو كان المؤرخون في الغرب يرومون الحقيقة ويؤرخون لها. فمنذ سقوط بابل في أيدي الفرس عام 539 ق.م. بدأ النزوح السوري الفراري (الإغريقي) الجديد، وظهرت معه الحضارة فجأة في "إغريقيا"، وكما استمر الاحتلال الفارسي قرنين من الزمان فقد عاشت تلك الحضارة مع أهلها النازحين قرنين أيضاً. وكما تمت عملية التحرير النهائي في الثلاثينيات من القرن الرابع فقد عاد النازحون إلى موطنهم، وأقفرت بلاد المورة فجأة من كل مظاهر الحضارة، كما امتلأت فجأة بها. لقد أقفرت فجأة مرة واحدة، وإلى يومنا هذا.>>[2]

ويجب التمييز هنا بين حقبتين في بلاد اليونان، حقبة ما قبل "المعجزة" (أو حقبة ما قبل "النزوح الفراري" بعد سقوط بابل بيد الفرس، أي حقبة "الانتشار الطبيعي")، وحقبة ما بعد حدوث "المعجزة" ("النزوح الفراري") حيث برزت الحضارة الإغريقية في ما يسمى بـ "العهد الكلاسيكي"، أما عما قبل "المعجزة" ("الانتشار الطبيعي") فقد وصف فيه الوجود البشري على الشكل الآتي: <<"ففي بعض المناطق الجبلية والنائية من اليونان الوسطى والغربية يعيش الرجال مبعثرين في مساكن منعزلة أو في قرى صغيرة، وليس لهم سوى معابد ريفية يجتمعون حولها في ظروف الأعياد التي هي أسواق دورية في الوقت نفسه. ولذلك فإنهم يعدون متخلفين، ولا تجنّي عليهم بهذا الاعتبار. فلن يتوصل بعضهم، قبل أواخر العهد الكلاسيكي، إلى أداء دور سياسي أو عسكري، عاجزين، على كل حال، عن ترك أي أثر اقتصادي أو أدبي"[3]. ومعلوم أن المقصود بتعبير "العهد الكلاسيكي" هو عهد إقامة النازحين السوريين في إغريقيا، منذ سقوط بابل عام 539 ق.م. إلى عام تحريرها 339 ق.م.>>[4] وهذا الوجود البشري السابق للعهد الكلاسيكي هو مجرد أصداء خافتة للحضارة الشرقية، وهو ما وصف بـ "الانتشار الطبيعي" من منابعه في الهلال الخصيب إلى أوروبا عن طريق جزر بحر إيجه، مروراً بكريت، وصولاً إلى اليونان.

أما بعد حدوث "المعجزة" ("النزوح الفراري") فقد وصف فيه الوجود البشري الحضاري من قبل المؤرخين بصفات تبرز فيها السمات الشرقية، مما دفع الدكتور داوود لإبداء تعجبه بعد اقتباساته من المؤرخين الغربيين:<<يقول ديورانت: "تبدو أثينا أيام مجدها شرقية أكثر منها أوروبية في أخلاق أهلها، كما تبدو كذلك في حروفها الهجائية، وفي مقاييسها، وموازينها، ونقودها، وسكانها، وملابسها، وموسيقاها، وفلكها، وطقوسها الصوفية"[5]. فما الذي بقي منها إذاً؟...

[1] المرجع نفسه، ص363.

[2] المرجع نفسه، ص463.

[3] إيمار، أندريه، و أوبوايه، جانين، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، 1968، ص324.

[4] داوود، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، المرجع السابق، ص466.

[5] ديورانت، قصة الحضارة، الجزء 7، المرجع السابق، ص103.

لهذا، يقول ديورانت: "فقد كان الغرباء الأحرار الذين ولدوا في بلاد أجنبية واتخذوا أثينا موطناً لهم... كان هؤلاء الغرباء هم الذين يؤدون في أثينا معظم الأعمال ذات الصلة التاريخية بالطبقة الوسطى. فكان منهم رجال المهن، والتجار، والمقاولون، والصناع، والمديرون للأعمال التجارية والصناعية، وأصحاب الحوانيت، وأرباب الحرف، والفنانون"[1]. فماذا بعد هذا يبقى لندعوه أوروبياً؟>>[2]

إن ما سبق وقدمناه من لمحة عامة عن بحث الدكتور أحمد داوود، مدعوماً باقتباسات من كلامه أو المقاطع التي اختارها من كلام باحثين آخرين اقتبس عنهم وعلّق عليها، هو إيجاز لبحثه الموسع في كتابه المذكور، وفيه اعتمد بشكل عام – لدعم فرضيته – على أدلّة لغوية (كتلك التي أدرجنا نموذجاً عنها توضيحه لمعنى كلمة "إغريق") فضلاً عن الأدلة الأخرى (جغرافية ووثائق تاريخية على قلّتها) كما تطرق لتفسير العقائد الدينية ومقارنتها، وفي بحث الدكتور داوود توصل إلى مجموعة نتائج (أو لنقل "فرضيات" محتملة) قد تقلب التاريخ، الذي نعرفه (كما قدمه لنا الباحثون والمؤرخون الغربيون) وندرسه في مناهجنا التعليمية، رأساً على عقب... ومن أهم تلك النتائج "الفرضيات":

- سقوط فرضية "العرق الآري" والشعوب "الهندو أوروبية" التي ينسب الإغريق لهم.
- الحضارة اليونانية (الإغريقية) هي امتداد للحضارة الشرقية (حضارة الهلال الخصيب) سواء في انتقالها البطيء قبل سقوط بابل بيد الفرس ("الانتشار الطبيعي") أو السريع الذي ظهر في "العهد الكلاسيكي" والذي دعي بـ "المعجزة" والناتج عن "النزوح الفراري" بعد سقوط بابل والهلال الخصيب في أيدي الفرس.
- إن كامل الحضارة الإغريقية في "العهد الكلاسيكي" هي حضارة شرقية (من الهلال الخصيب) حملها معهم النازحون واستمرت في بلاد اليونان مدة قرنين (وهي مرحلة السيطرة الفارسية على بابل والهلال الخصيب).
- إن انتصارات الاسكندر المقدوني هي عملية تحرير للمنطقة الشرقية من السلطة الفارسية وليست فتوحات أوروبية للشرق (وهو ما يفسر "إعجازها عسكرياً" وسرعتها على كامل المنطقة).
- إن ما ندعوه تاريخياً بـ "الحقبة الهلنستية" ما هي إلا نتاج عودة النازحين من الهلال الخصيب الذين ندعوهم بـ "الإغريق" إلى بلادهم الأم التي نزحوا منها عقب سقوط بابل والهلال الخصيب بيد الفرس، واندماج العائدين بشكل الطبيعي في المنطقة مع من بقي من شعوبها تحت نير الحكم الفارسي "الإخميني".

إن هذه النتائج كلّها أو "الفرضيات" السابقة وغيرها، مما قد يقلب التاريخ رأساً على عقب، لا بد لها من دواعم آثارية كي تستقيم وتثبت... ونحن نعلم أن مظاهر الفن التي تتركها الشعوب هي أهم الأدلة على شخصيتها وتفردها، وهي أيضاً الآثار الباقية الملموسة التي يمكننا مقارنتها بباقي نتاجات الشعوب الأخرى لمعرفة الأصول المشتركة، وحتى أن الأعمال الفنية التشخيصية تقدم لنا المواصفات العرقية للشعب الذي أنتجها مما يسمح لنا بتتبع أصوله العرقية... في بحثنا هذا درسنا أهم الآثار الفنية (تصوير + نحت) التي عثر عليها في بلاد اليونان والتي تعود للعهد الكلاسيكي ولما قبله رجوعاً على مسار انتقال الحضارة عبر جزر بحر إيجة وجزيرة كريت ومقارنتها بأهم الآثار الفنية (تصوير + نحت) التي

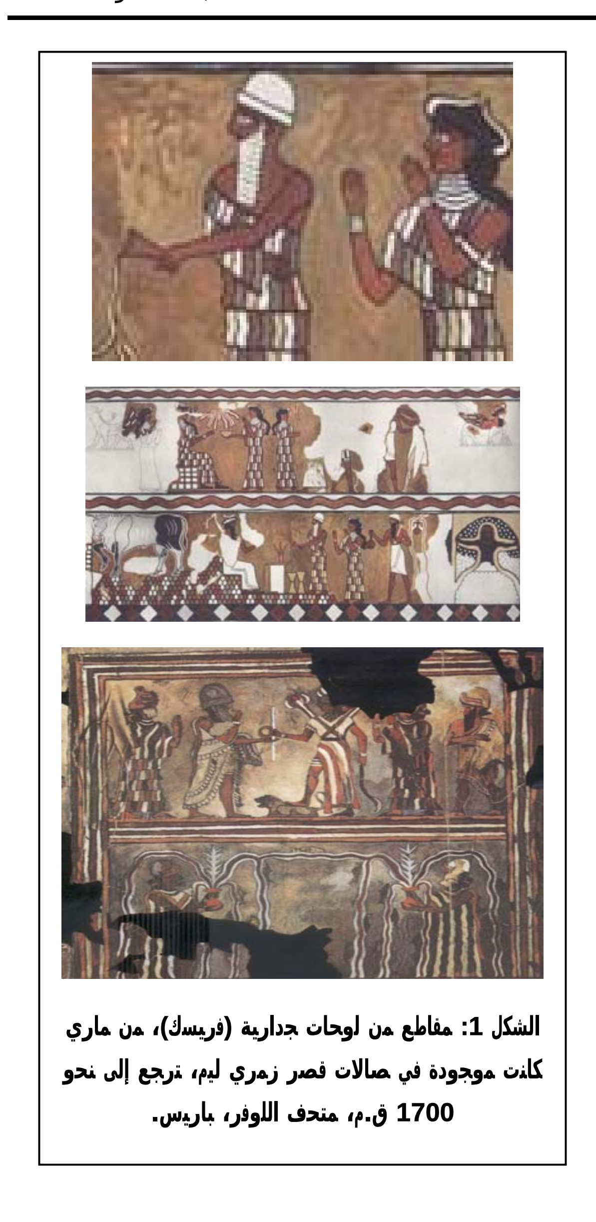
[1] المرجع نفسه، ص62 – 63.

[2] داوود، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، المرجع السابق، ص473 – 474.

تمثّل زبدة النتاج الفني في الهلال الخصيب قبل سقوط بابل بيد الفرس، لنقارن تحديداً المميزات الفنية كما الصفات العرقية، كي ندعم فرضية الدكتور أحمد داوود على الأقل في هذين الجانبين الفنيين (تصوير + نحت) المثبتين آثارياً.

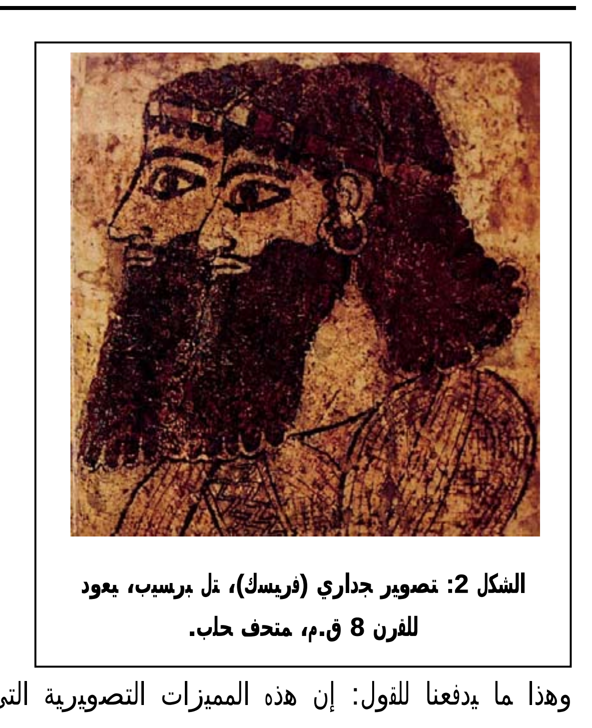
**في التصوير:**

يقدم لنا الدكتور عفيف البهنسي أهم مميزات التصوير المصري القديم (التي نراها تتطابق أيضاً مع مميزات التصوير في الهلال الخصيب) بالنقاط الآتية: <<في التصوير، كان الرأس يرسم من الجانب، أما العين فكانت جبهية وكذلك الصدر، أما الفخذان والقدمان فكانت جانبية.>>[1] وهنا نستطيع المقارنة بين هذه المميزات الفنية (التصويرية) من خلال ملاحظة تكرارها في الأشكال (1 و2) التي يبدو أنها انتشرت على كامل أرض الهلال الخصيب وصولاً إلى تلك المعروفة في وادي النيل لتغدو سمة مميزة لشعوب متواصلة ثقافياً إن لم تكن سمة لشعب واحد.



**الشكل 1: مقاطع من لوحات جدارية (فريسك)، من ماري كانت موجودة في صالات قصر زمري ليم، ترجع إلى نحو 1700 ق.م، متحف اللوفر، باريس.**

[1] البهنسي، عفيف، تاريخ الفن والعمارة – الجزء الأول (من البداية حتى عصر النهضة)، دار الشرق – نبيل طعمه، دمشق، الطبعة الأولى، 2003، ص 60. أو البهنسي، عفيف، تاريخ الفن والعمارة، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الرابعة، 1993/92، ص 50.

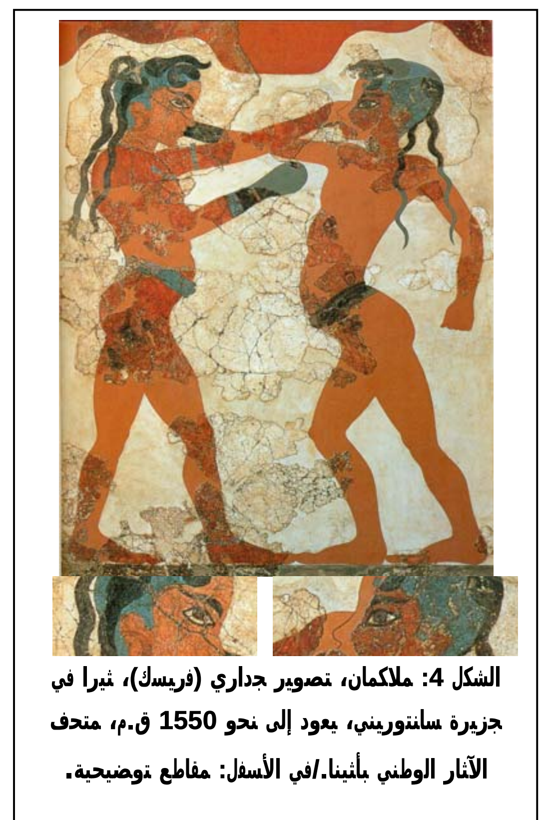


**الشكل 2: تصوير جداري (فريسك)، تل برسيب، يعود للقرن 8 ق.م، متحف حلب.**

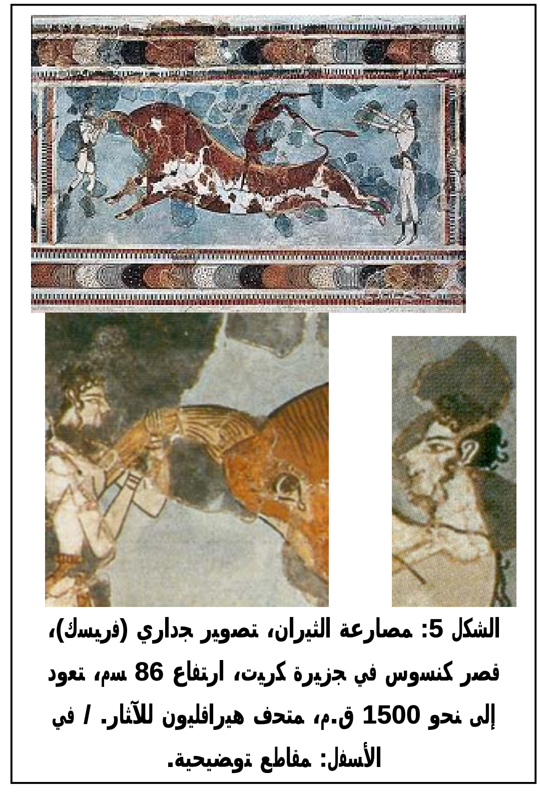


**الشكل 3: صياد سمك، تصوير جداري (فريسك)، ثيرا في جزيرة سانتوريني، ارتفاع 135 سم، يعود إلى نحو 1550 ق.م، متحف الآثار الوطني بأثينا./على اليسار: مقطع توضيحي.**

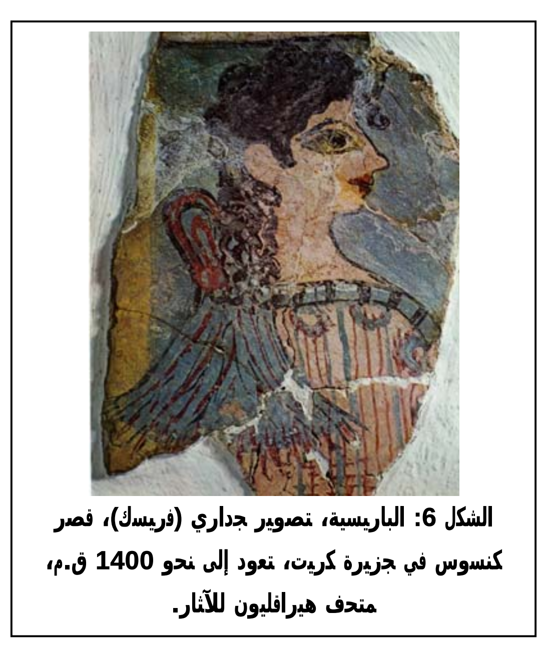
وهذا ما يدفعنا للقول: إن هذه المميزات التصويرية التي نوهنا لها تشكّل سمة فنية فارقة لحضارة متصلة ثقافياً في العصور القديمة، فإذا تابعنا المقارنة والبحث عن هذه السمة الفنية في الأعمال التصويرية التي تنتشر على أراضي عدتْ "إغريقية" مثل جزر بحر إيجه وجزيرة كريت وأرض اليونان، في الأشكال (3-4-5-6-7)، وجدنا تطابقاً يظهر في تكرار هذه السمة الفنية من "الرأس والفخذين والقدمين المرسومين بشكل جانبي" في حين أن "العين والصدر (في الأغلب) مرسومان بشكل جبهي" (سنلاحظ أن العين المرسومة بشكل جانبي في الوجه الجانبي لن تظهر إلا في حقب لاحقة – نحو 300 ق.م – بعد زمن الاسكندر المقدوني)، فضلاً عما ستفيد منه لاحقاً وهو رسم شعر الشخوص الذي يكشف طبيعته النابضية (متموج على شكل لفائف)، هذا عدا التقنية المتمائة في الرسم الجداري "الفريسك".



**الشكل 4: ملاكمان، تصوير جداري (فريسك)، ثيرا في جزيرة سانتوريني، يعود إلى نحو 1550 ق.م، متحف الآثار الوطني بأثينا./في الأسفل: مقاطع توضيحية.**



**الشكل 5: مصارعة الثيران، تصوير جداري (فريسك)، قصر كنسوس في جزيرة كريت، ارتفاع 86 سم، تعود إلى نحو 1500 ق.م، متحف هيرافليون للآثار. / في الأسفل: مقاطع توضيحية.**



**الشكل 6: الباريسية، تصوير جداري (فريسك)، قصر كنسوس في جزيرة كريت، تعود إلى نحو 1400 ق.م، متحف هيرافليون للآثار.**



**الشكل 7: ميتوب، من رسوم معبد أبولون، في ثيرموس، تعود إلى نحو 640 ق.م، فن إغريقي.**

وستنسحب المميزات السابقة نفسها في "الرسم الجانبي للرأس والعين الجبهية" و"الشعر ذو الطبيعة النابضية" على الرسوم المنفذة على الأواني الفخارية "الإغريقية" التي تعود إلى أزمنة ما قبل الاسكندر المقدوني، انظر الأشكال (8-9).



**الشكل 8: أكزيكياس Exekias (نفذ أعمالاً نحو 550 – 525 ق.م)، أخيل وأجاكس يلعبان بالنرد، فخار (سيراميك) ارتفاع 61 سم، عثر عليها في أمفور، تعود إلى نحو 540 – 530 ق.م، المتحف الغريغوري للفن الأيتروسكي، مدينة الفاتيكان./ في الأسفل: مقطع توضيحي.**

**الشكل 9: أبولون مكلل بالريحان، فخار (سيراميك)، عثر عليها في كيليكس، تعود إلى نحو 480 – 470 ق.م، متحف الآثار، داف./ في الأسفل: مقطع توضيحي.**

ولن ننسى هنا أن نذكّر أن سكان الهلال الخصيب هم أول من قاموا باختراع الفخار (منذ الألف السابع قبل الميلاد)، ثم قاموا بتطوير الصناعات الفخارية والرسم عليها: <<وفي شمالي سورية عثر في عام 1913 في تل حلف على فخار رقيق مصبوغ بعدة ألوان بزخارف هندسية رائعة تعود إلى 4900 – 4300 ق.م وتبين أن اسم هذا الموقع القديم هو (كوزانا)، وقد أصبح هذا النوع من الفخار مقياساً لعصر وفن محددين، وعثر في العراق على آثار ترجع إلى عصر حلف في نينوى وتعد تل حلف بداية الصناعة الناضجة التي انتقلت فيما بعد إلى الجنوب حيث ظهرت الحضارة السومرية.>>[1] وهنا نضيف؛ إن الصناعات الفخارية الخزفية (سيراميك) "الإغريقية" المزخرفة والمرسومة المتطورة (كالتي نعرفها في العصر الذهبي "العهد الكلاسيكي") لا يمكن أن تظهر هكذا بطريقة "المعجزة"، بل لابد لها من تاريخ تطوري يعود بها إلى أصولها الأولى التي انطلقت من الهلال الخصيب مروراً بجزر بحر إيجة وجزيرة كريت فـ "مسينا": <<فقد تبين أن الخزف في مسينا اعتمد في تزيينه على العناصر الحيوانية البحرية (كالأخطبوط). ثم انتشرت الزخرفة الهندسية على الأواني حتى عام 750 ق.م. وأعقبتها الزخرفات الكورنثية ذات الشرائط الأفقية حول الأواني، وعليها حيوانات متتابعة **تذكرنا بطريقة الرسم الرافدي** (الشكل 10، قارن مع الشكل 11)... ثم انتقلت الموضوعات بعد عام 600 إلى أحداث الأساطير الأغريقية. وفي العصر الذهبي أصبحت الموضوعات مأخوذة من الحياة الخاصة.>>[2].

**الشكل 10: جرة من النمط الكورنثي مع رسوم حيوانات وأبو الهول (أسد مجنّح)، عثر عليها في كورنثا، تعود إلى نحو 640–630 ق.م، متحف اللوفر، باريس.**

[1] البهنسي، تاريخ الفن والعمارة – الجزء الأول، دار الشرق، المرجع السابق، ص 29.

[2] البهنسي، تاريخ الفن والعمارة – الجزء الأول، دار الشرق، المرجع السابق، ص 203 – 204. أو البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، منشورات جامعة دمشق، المرجع السابق، ص 156.

وهنا يجدر بنا التوضيح بأن تنوع الأشكال الزخرفية (النباتية أو التجريدية) التي نجدها في الرسوم الجدارية أو الفخّارية، وذلك تبعاً للعصور أو للأماكن المختلفة، قد لا تمثّل مقياساً مؤكّداً للفصل القاطع بين الأساليب الفنية الخاصة بالشعوب المختلفة وإن كانت بعض أقدم الزخارف النباتية على الخزف "الإغريقي" تمثّل نباتات شرقية: <<شيئاً فشيئاً، الهيئات البشرية والحيوانية أصبحت العناصر الأكثر أهمية في زخرفة الخزفيات، **مع عناصر لنباتات من أصل شرقي**.>>[1]، وهي هنا تمثّل دليلاً داعماً على أصل هذه الزخرفة العائد للشرق أو للتأثر به، وليست دليلاً قاطعاً على أصول الفنان الشرقية. ولن نغفل قابلية وجود زخارف تمثل نباتات محلية، إذْ إنّ تطور الفنون في بيئاتها المحلية سمح للفنانين بالإفادة من النباتات المحلية لاستيحاء زخارف ترتبط بمكان إنتاج العمل الفني، فتصبح الزخارف أقرب إلى لهجات فنية (كما اللهجات اللغوية) تميز بيئة أو منطقة عن أخرى، كما قد تظهر تأثّراً متبادلاً (كتبادل مصطلحات وكلمات بين لغتين)، في حين أن السمة الفنية الأساسية التي تظهر في رسوم الأشخاص تدلنا على الترابط الفكري المتجذّر مثل "الرسم الجانبي للرأس والعين الجبهية"، وأيضاً التقنية المتماثلة (الفريسك والفخار) التي تظل كقاسم مشترك بين مختلف التجمعات البشرية ذوي الأرومة الواحدة؛ فالتقنية والسمة المشتركة هما بمنزلة اللغة الفنية الأصلية التي تتطور عبر العصور وتتنوع باختلاف أماكن الانتشار (تماماً كما اللغة الأم في تطورها عبر الزمن وتنوعها إلى لهجات محلية أو لهجات هجينة متأثرة بالشعوب المجاورة).

[1] Carvalho de Magalhaes, Roberto, Le Petit Livre du GRAND ART, adaptation française: Maïca Sanconie, Editions Gründ, Paris, 2005, p. 39.

ولكن الفن تابع تطوره ليفقد سمته الفنية الأساسية "الرسم الجانبي للرأس والعين الجبهية" في سعي الفنان إلى الواقعية، فظهرت الرسوم التشخيصية ذات الصفة الواقعية "الرسم الجانبي للرأس والعين الجانبية أيضاً" وحتّى ظهور "الرسم الجبهي للرأس مع العين المناسبة الجبهية"، وذلك ابتداء من نحو 300 ق.م – بعد الاسكندر المقدوني – أي فيما يسمى بـ "الحقبة الهلنستية"، لنفقد بذلك السمة الفنية الأساسية "الرسم الجانبي للرأس والعين الجبهية" التي اعتمدنا عليها للربط بين التصوير المشخّص في الهلال الخصيب (ووادي النيل) وبين التصوير المشخّص في جزر بحر إيجه وجزيرة كريت واليونان (بلاد الإغريق)، ولكن لن نفقد المواصفات العرقية الدالّة على وحدة العرق والأصل الواحد لسكان الهلال الخصيب وبلاد الإغريق التي بحثنا فيها لاحقاً بعد البحث في النحت.

**في النحت:**

كما نوهنا سابقاً، ببحثنا في التصوير، نذكّر بأن الفن يتطور عبر العصور، وفي فن النحت تابعنا التقابل والتطابق بين النحت في الهلال الخصيب مع النحت "الإغريقي" وتطوره عبر العصور.

إن المقارنة بين منحوتات "بوابة عشتار" البابلية التي تقدم نحتاً بارزاً لحيوانات، الشكل (11)، بتلك المنحوتات على إفريز معبد "برينياس Prinias"، الشكل (12)، الذي عثر عليه في "جزيرة كريت" (التي تعود لما يصنّف بالمرحلة البدائية للنحت الإغريقي) لا يسمح بعدم ملاحظة أوجه التشابه.

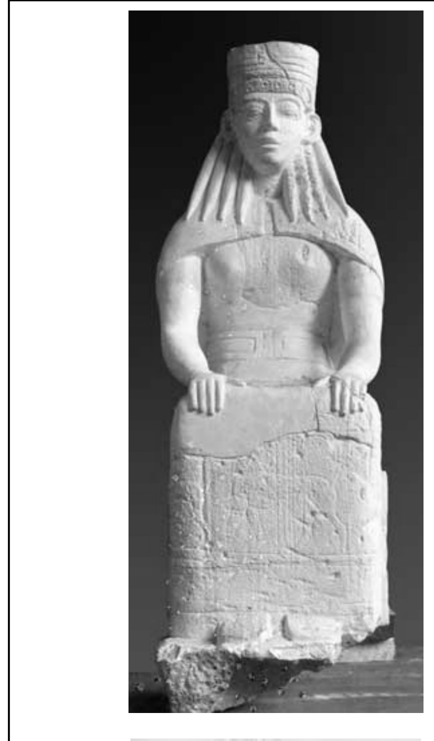


**الشكل 11: بوابة عشتار، واجهة معبد عشتار، بابل- العراق، تعود إلى نحو 600 ق.م، نقلت إلى متحف الدولة في برلين.**



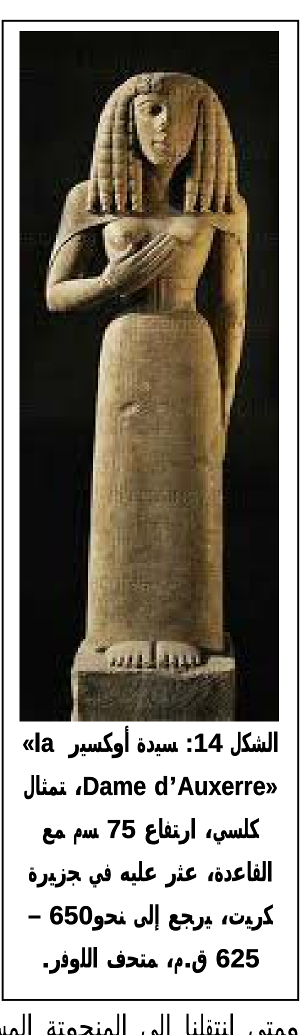
**الشكل 12: إفريز معبد برنياس - كريت، يعود إلى نحو 650 ق.م، متحف هيرافليون للآثار.**

فإذا انتقلنا إلى المنحوتات التي تمثِّل أشخاصاً (من العينات السابقة نفسها: الرافدية المشهورة بنحتها البارز/روليف وتلك الإغريقية في جزيرة كريت) لا يمكننا التغاضي عن التطابق الملحوظ في طبيعة الشعر المنحوت "الشعر ذو الطبيعة النابضية" وحتى الأزياء، انظر الشكل (13).

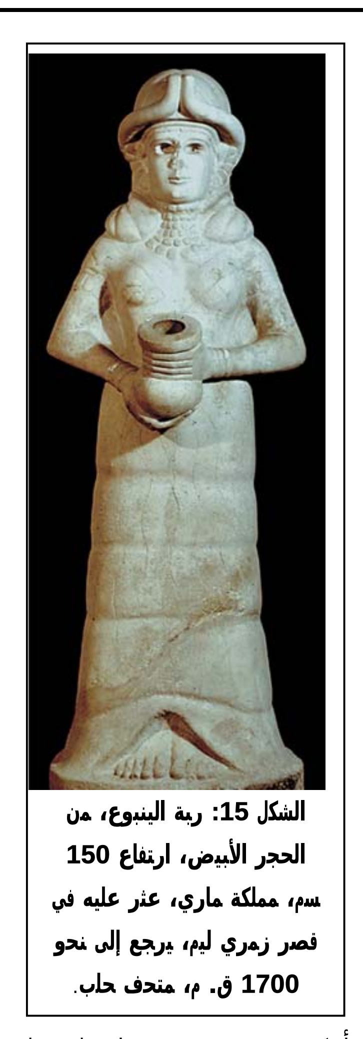




**الشكل 13: ربة جالسة على إفريز معبد برنياس - كريت، يعود إلى نحو 650 ق.م، متحف هيراقليون للآثار.**



**الشكل 14: سيدة أوكسير «la Dame d'Auxerre»، تمثال كلسي، ارتفاع 75 سم مع القاعدة، عثر عليه في جزيرة كريت، يرجع إلى نحو650 – 625 ق.م، متحف اللوفر.**



**الشكل 15: ربة الينبوع، من الحجر الأبيض، ارتفاع 150 سم، مملكة ماري، عثر عليه في قصر زمري ليم، يرجع إلى نحو 1700 ق. م، متحف حلب.**



**الشكل 16: هيرا من ساموس «Hera en Samos»، ارتفاع 192 سم، فن إيوني عثر عليه في جزيرة ساموس، يرجع إلى نحو 570 – 560 ق.م، متحف اللوفر.**

ومتى انتقلنا إلى المنحوتة المسماة "سيدة أوكسير la Dame d'Auxerre" (ذات الشعر ذو الطبيعة النابضية)، الشكل (14)، وقارناها بالمنحوتة السورية الشهيرة بـ"ربة الينبوع"، الشكل (15)، حتماً سيلفت نظرنا تطابق التحام الأيدي بصلب المنحوتة والوقفة الجامدة، كما وسيجذب انتباهنا بروز أصابع القدمين من تحت الثوب الطويل في كلتا المنحوتتين (وكأن الثوب رفع فقط من الأمام عند منطقة القدمين خصيصى لإظهار أصابع القدمين) وهو تطابق بين المنحوتتين لابد من عزوه لأسلوب فني موحد إن لم يدل على أزياء متشابهة، فما بالنا إذا انتقلنا إلى "جزيرة ساموس" لنشاهد السمة نفسها الخاصة بالثوب الطويل وأصابع القدمين في تمثال "حيرا" " Hera en Samos"، الشكل (16)، إذ نجده يحمل الصفات نفسها من التحام الأيدي بصلب المنحوتة والوقفة الجامدة مع بروز أصابع القدمين من تحت الثوب الطويل، وهذا ما ينوه إليه الدكتور البهنسي: <<في ساموس، تمثال حيرا وهو أشبه

بعمود، ويعد نموذجاً **لتأثير الفن الآشوري**.>>[1] أهو مجرد تأثير أم فن ينتقل مع الشعب في "الانتشار الطبيعي"؟.

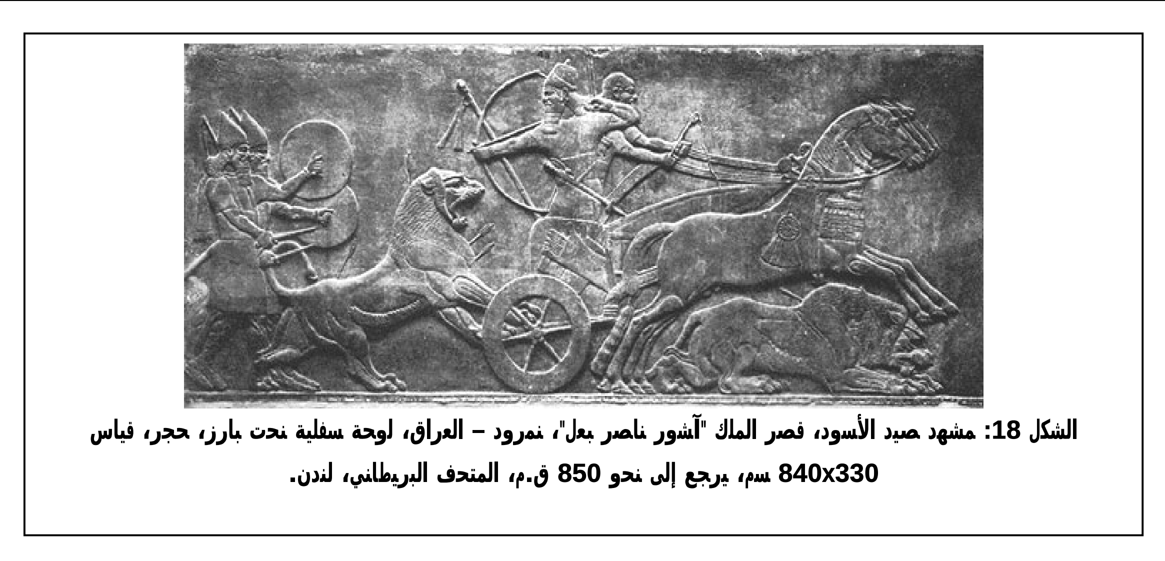
فإذا انتقلنا إلى أرض اليونان للمقارنة بين المنحوتات الجدارية البارزة (روليف) التي عثر عليها في "داف" والمسماة بـ "كنز سيفنوس Trésor de Siphnos" (التي تعود إلى المرحلة البدائية للنحت الإغريقي)، الشكل (17)، وبين تلك الرافدية، الشكل (18)، لاحظنا التطابق في: الموضوع "الصراع مع الأسود"، والأزياء "الثوب الذي يعلو الركبة" وشكل الدرع، وميزة "إبراز عضلات الساق" المكشوفة من تحت الثوب، وأيضاً شعر الرأس واللحية الذي يحمل الصفة العرقية نفسها "شعر ذو طبيعة نابضية"؛ وهذا ما نوه له أيضاً الدكتور البهنسي: <<في اليونان الكبير: منحوتات كنز سيفنوس Siphnos في داف، وفيه نرى تطوراً واضحاً في فن النحت، مع مبالغات تشريحية وتحويرات **تذكرنا بالفن الآشوري**.>>[2]

وهنا نضيف؛ إن كان رأس تمثال حيرا (ساموس) مفقوداً ما يمنعنا من معرفة طبيعة الشعر المنحوت، فنحن نرى بوضوح طبيعة شعر رؤوس الشخوص المنحوتة في "كنز سيفنوس" (داف)، "شعر ذو طبيعة نابضية"، انظر الشكل (17)، ما يدفعنا لرفض فرضية قد يطرحها بعضهم بأن النحات رافدي أو متأثّر بالفن الرافدي، فالأشخاص الممثلون في المنحوتة هم بالضرورة أبناء مدينة "داف" ذوو "الشعر ذو الطبيعة النابضية"... يمكننا بعد ما عددنا كلّه من أوجه التشابه - إن لم نقل التطابق - أن نخلص إلى أن الشعب الذي قدم هذين النموذجين من فن النحت البارز (النحت الرافدي والنحت في داف)، وفي أماكن متباعدة جغرافياً، هو شعب واحد يتابع "انتشاره الطبيعي" على امتداد الجغرافية من الهلال الخصيب إلى بلاد اليونان حاملاً معه أسلوبه الفني المميز، وإن تطور هذا الأسلوب الفني باتجاه المزيد من البروز عن السطح الحجري المنحوت. وسيتابع هذا الشعب تطوره في فن النحت من "المرحلة البدائية للنحت الإغريقي (أركائيك)" مروراً بما يصنّف بـ "المرحلة السابقة للكلاسيكية" أو "المرحلة الكلاسيكية الباكرة" (مع "النزوح الفراري" أو "الإغريقي" الناتج عن سقوط بابل بأيدي الفرس) وصولاً إلى "المرحلة الكلاسيكية"، ومن ثم العودة إلى الشرق بعد انتصار الاسكندر المقدوني لتبدأ ما ندعوه بـ "الحقبة الهلنستية" حيث يتابع النحت استمرار تطوره وبأيدي نحاتين شرقيين تابعوا الإرث الفني الذي لم ينقطع عن التطور...

**الشكل 17: افريز "كنز سفينوس Trésor de Siphnos"، معركة الآلهة ضد العمالقة، نحو 525 ق.م، متحف داف./في الأسفل: مقطع توضيحي.**

[1] البهنسي، تاريخ الفن والعمارة – الجزء الأول، دار الشرق، المرجع السابق، ص 195. أو البهنسي، تاريخ الفن والعمارة، منشورات جامعة دمشق، المرجع السابق، ص 141.

[2] المرجع نفسه، بمصدري النشر نفسيهما والصفحات نفسها.

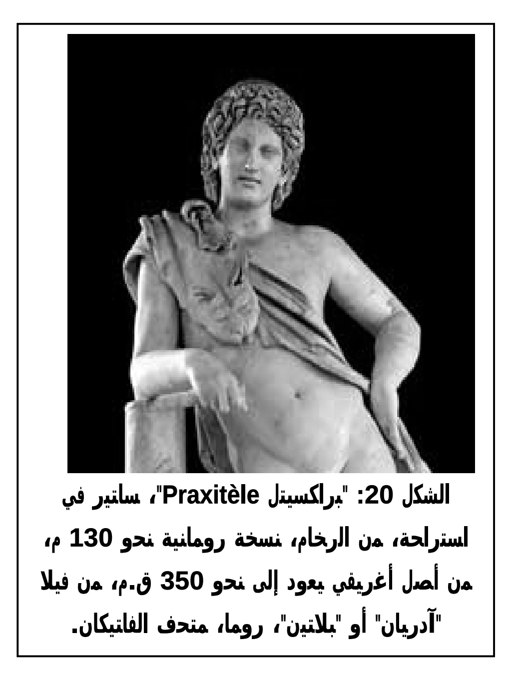


**الشكل 18: مشهد صيد الأسود، قصر الملك "آشور ناصر بعل"، نمرود – العراق، لوحة سفلية نحت بارز، حجر، قياس 840x330 سم، يرجع إلى نحو 850 ق.م، المتحف البريطاني، لندن.**

ولكن، وفي تلك المراحل السابقة كلّها من تطور فن النحت، ظلّت الصفة العرقية لهذا الشعب ذي الأصول الشرقية واضحة في منحوتاته جميعها (ورسومه)، هذه الصفة العرقية المتمثلة بـ "الشعر ذو الطبيعة النابضية"، لاحظ استمرارها في "المرحلة السابقة للكلاسيكية" أو "العصر الكلاسيكي الباكر" الشكل (19) وحتّى "المراحل الكلاسيكية" الشكل (20) ولن يتوقّف في ما يسمى بـ "الحقبة الهلنستية"، وإن تطور أسلوب النحت ودقّة إظهار الطبيعة النابضية في شعر المنحوتة.



**الشكل 19: لوحة لودفيزي الثلاثية، ولادة أفروديت، من الرخام، ارتفاع النصب 85 سم، فن إغريقي من العصر الكلاسيكي الباكر، نحو 470 – 460 ق.م، المتحف الوطني الروماني.**



**الشكل 20: "براكسيتل Praxitèle"، ساتير في استراحة، من الرخام، نسخة رومانية نحو 130 م، من أصل أغريقي يعود إلى نحو 350 ق.م، من فيلا "آدريان" أو "بلاتين"، روما، متحف الفاتيكان.**

**الصفات العرقية:**

إن البحث في الصفات العرقية الظاهرة للشعوب وتمييزها هو العلم الفاصل في الأعراق والإثنيات المختلفة، فلن يختلف اثنان في الصفات المميزة للعرق الآسيوي في الشرق الأقصى والمتمثلة بلون البشرة الصفراء والشعر الداكن الأملس (عدا شكل العيون المميز)، وأما العرق الأوروبي الجرماني فيتميز بالبشرة البيضاء والشعر الأشقر الأملس (والعيون ذات الألوان الفاتحة)، وفي إفريقية سنجد البشرة السوداء والشعر الداكن الأجعد (عدا ملامح الأنف والفم المميزة)... فهل ستصمد نظرية العرق الآري "الهندو – أوروبي" أمام امتحان الصفات العرقية؟.

إن نظرية الشعوب الهندو – أوروبية تتطلّب إبراز صفاتهم العرقية الظاهرة والمميزة، فما الرابط العرقي بين الهنود والأوروبيين؟ للهنود صفة عرقية مميزة تتمثل في البشرة السمراء والشعر الداكن الأملس، وأما الأوربيون فلديهم صفة البشرة البيضاء والشعر الأشقر الأملس... ولا رابط هنا سوى الشعر الأملس (وهو ما يتناقض تماماً مع طبيعة شعر الأشخاص الممثلين في المنحوتات الإغريقية كلّها وحتّى الرسوم على الجدران أو على الفخار).

أما عن الصفات العرقية للشعب الذي انتشر في الهلال الخصيب، فإن من يتفحص الآثار الفنية (تصوير + نحت) في العصور القديمة المنتشرة على كامل الهلال الخصيب، يمكنّه تمييز صفة عرقية واضحة لهذا الشعب: البشرة الحنطية اللون والشعر ذو اللون البني أو الداكن **والطبيعة النابضية** (وهو الشعر ذو التموج الذي يتنوع من الموجة الواسعة إلى الموجة الملتفّة على شكل نابض، Fr: cheveux frisés, En: curly hair)... فإذا عزلنا صفة اللون في الأعمال الفنية، لكونها قد تخضع لعوامل التغير عبر الزمن أو لعوامل الألوان المتوافرة بين يدي المصور، بقي بين أيدينا صفة غير قابلة للتشكيك هي "**الشعر ذو الطبيعة النابضية**"، وهذه صفة ماتزال تميز أغلب أبناء الهلال الخصيب المعاصرين رغم اختلاط الأعراق عبر العصور.

وبالإفادة من الصفة العرقية المتبقية بين أيدينا التي تميز شعب الهلال الخصيب: "**الشعر ذو الطبيعة النابضية**"، وبحثاً عن الأصول العرقية للإغريق، يمكن لمن يتابع الآثار الفنية جميعها (تصوير + نحت) المصنّفة بوصفها "إغريقية" – التي عثر عليها في "جزر بحر إيجه" و"جزيرة كريت" وفي أرض "اليونان" من العصور القديمة مروراً بـ "العهد الكلاسيكي" وحتّى "الحقبة الهلنستية" – أن يلاحظ بروز واستمرار الميزة العرقية التي سبق وأكّدناها وهي "**الشعر ذو الطبيعة النابضية**"، انظر الأشكال الواردة في البحث (وغيرها) والتي تحوي تمثيلاً فنياً لأشخاص.

1. فوق ما سبق كلّه، وعودة إلى لون البشرة، فإن كان الدليل اللوني في الأعمال الفنية هو دليل غير قاطع بسبب عامل التغير عبر الزمن أو عامل الألوان المتوافرة بين يدي المصور، فإن الدليل المكتوب في الوثائق القديمة عن لون البشرة هو دليل يصعب التشكيك به، وإليه يشير الدكتور أحمد داوود موضحاً: <<وإلى تلك الأوصاف التي سبق أن مررنا بها يضيف كيتو، هذه المرة مشكوراً، واحدة من الأوصاف المميزة لأولئك الإغريق، نقلها عن هوميروس كما هي بحرفيتها، وهي "أن الآخيين كانوا من ذوي اللون الـ Henthoi"[1]. إن كلمة "حنطوي" بالسريانية هي "حنطي" بالفصحى، وتعني بلون الحنطة، أي الأبيض الذي لوحته الشمس. لكن كيتو لا يتردد في أن يترجمها إلى

[1] كيتو، الإغريق، المرجع السابق، ص22.

"ذوي الشعر الأشقر"! إن تعبير "حنطوي" السرياني، و"حنطي" الفصيح لازمت وصف لون بشرة السوريين منذ الزمن الموغل في القدم إلى اليوم. وإن نحو سبعين في المئة من السوريين اليوم مكتوب في بطاقتهم الشخصية في بند "العلامات الفارقة" اللون: حنطي. وربما هم الوحيدون في هذا العالم الذي يستخدم هذه الكلمة للتعبير عن لون بشرتهم.>>[1] وأخيراً فإن ألوان الفسيفساء الحجرية، المتنوعة الخيارات والدرجات بين يدي المصور والصامدة أمام عوامل التغير عبر الزمن، تقدم لنا الدليل القاطع عن لون بشرة الاسكندر المقدوني ولون شعره وطبيعته وحتّى لون عينيه، والنحت يدعم أيضاً حقيقة طبيعة شعر الاسكندر المقدوني، انظر الأشكال (21-22)، وللصورة والصفات العرقية الظاهرة الكلمة الفصل.



**الشكل 21: معركة إيسوس Issos (بين جيش الاسكندر المقدوني ودارا الثالث الإخميني مع جيشه)، فسيفساء، قياس 513 × 272 سم، تعود للقرن الأول ق.م، عثر عليها في "بومبي"، نسخة عن أصل يعود للقرن الثالث ق.م يظن أنه للفنان "أبيل Appelle" (مصور الأسكندر وصديقه ومرافقه)، المتحف الوطني للآثار، نابولي./ في الأسفل: مقطع توضيحي يظهر ملامح وجه الاسكندر المقدوني وصفاته العرقية.**

**الشكل 22: رأس الاسكندر شاباً، من أكروبول أثينا، نحو 340 – 330 ق.م، متحف الأكروبول، أثينا.**

[1] داوود، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، المرجع السابق، ص384.

**نتائج البحث والتوصيات:**

إن نتائج بحثنا هذا، الذي يستند إلى الآثار الفنية (تصوير + نحت) والمقارنة بالصفات العرقية للشعوب، تدعم تماماً نتائج بحوث الدكتور أحمد داوود في إعادته لسكان جزر بحر إيجه وجزيرة كريت وأرض اليونان (بلاد الإغريق) إلى أصلهم العرقي المنتمي إلى الهلال الخصيب؛ أي إن "الإغريق" هم "شرقيون" (من الهلال الخصيب) انتشروا نحو الغرب الأوروبي ضمن توسع سكاني وحضاري حاملين معهم كامل أشكال الحضارة ومنها الجانب الفني الذي خصصنا له هذا البحث، وقد كان لانتشارهم هذا طابعان:

1- "انتشار طبيعي" عبر زمن طويل عن طريق جزر بحر إيجه وجزيرة كريت وأرض اليونان.

2- "نزوح فراري" (إغريقي) إثر سقوط مدينة بابل بيد الفرس واجتياحهم للهلال الخصيب، وهو ما سبب ظهور ما دعي بـ "المعجزة الإغريقية" في "العهد الكلاسيكي". وقد تابع الفن المولود في الهلال الخصيب تطوره في أراضي الانتشار "الإغريقية"، مع مرور الزمن، ليكتسب عدة أساليب فنية محلية أقرب إلى اللهجات في اللغة ولكن دون أن يفقد سماته الأساسية التي تدلنا على منشأه الشرقي، مظهراً الصفات العرقية المميزة لشعب "الهلال الخصيب" الممثل في الأعمال الفنية، ليصل هذا الفن بعد زمن الاسكندر المقدوني إلى ذروة واقعيته "الكلاسيكية" ثم ليتابع تطوره في أرضه الأم "الهلال الخصيب" و"وادي النيل" في ما دعي بـ "الحقبة الهلنستية"، مثل فرع من شجرة تابع تشعبه بعيداً ثم عاد ليلتحم بجذور أرضه الأم. ويبقى أن نبحث لاحقاً - بالمنهج نفسه - في أصول الإتروسكيين فالرومان.

بعد النتائج السابقة، نوصي بتعديل مناهج التعليم وتصحيحها في سورية التي تقدم تاريخ "الإغريق" كتاريخ شعب منفصل عن شعب الهلال الخصيب (تمهيداً لتوسيع نطاق التعديل والتصحيح إلى الوطن العربي فالعالم ككل)، وإعادة النظر في التاريخ المضلل المكتوب بأيدي الباحثين الغربيين، إذ من المعيب أن يطلق الباحث الفرنسي "بيير روسي Pièrre Rossi"*، منذ حوالي 35 سنة، حملة لتصحيح التاريخ، وإعادة حقوق العرب التاريخية المغيبة، دون أن نسهم نحن العرب في إعادة تصحيح تاريخنا المكتوب بأياد غربية ذات مآرب... وإن كان هكذا تعديل وتصحيح لمناهجنا التعليمية يحتاج إلى بحوث كثيرة تكشف الحقائق، وجهود كبيرة داعمة لكشف الحقيقة المعتّم عليها، فعلى الأقل، وبهدف فتح الباب أمام الرأي المختلف للتحريض على بحوث جديدة، نوصي بطرح النتائج أو لنقل الفرضيات التي توصل لها الباحث "أحمد داوود" والتي دعمناها في بحثنا هذا لتضاف إلى تاريخ "الإغريق" في مناهجنا التعليمية جنباً إلى جنب مع ما يدرس حالياً من تاريخ نظن أنّه محرف ومشوه ومضلل كُتب بأقلام باحثين غربيين يدعمون – عن قصد أو عن عدم تدقيق – نظرية العرق الآري "المتفوق" والشعوب "الهندو – أوروبية"، تلك النظرية التي تبنتها النازية الألمانية لأسباب استعمارية توسعية ولم تزل الدول الاستعمارية الغربية تتبناها لأسباب مشابهة.

* إقرأ: روسي، بيير، مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، الطبعة الأولى، 1980.

**المراجع***


1. إيمار، أندريه، و أوبوايه، جانين، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، 1968.
2. بريستد، جيمس، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1968.
3. البهنسي، عفيف، تاريخ الفن والعمارة – الجزء الأول (من البداية حتى عصر النهضة)، دار الشرق – نبيل طعمه، دمشق، الطبعة الأولى، 2003. أو البهنسي، عفيف، تاريخ الفن والعمارة، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الرابعة، 1993/92.
4. داوود، أحمد، تاريخ سورية الحضاري القديم – تصحيح وتحرير، الكتاب الأول من سلسلة "سورية وعودة الزمن العربي"، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الثانية، 1994.
5. داوود، أحمد، تاريخ سورية الحضاري القديم – 1 "المركز"، الكتاب الثالث من سلسلة "سورية وعودة الزمن العربي"، دار المستقبل، دمشق، الطبعة الأولى، 1994.
6. داوود، أحمد، تاريخ سورية الحضاري القديم – 2، الكتاب الرابع من سلسلة "سورية وعودة الزمن العربي"، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2004.
7. ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
8. راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة 1949.
9. روسي، بيير، مدينة إيزيس – التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، الطبعة الأولى، 1980.
10. فرنان، جان بيار، أصول الفكر اليوناني، ترجمة سليم حداد، بيروت، 1987.
11. كيتو، هـ.د.، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي، 1962.
12. هيرودوت، تاريخ هيرودوت الشهير، الكتاب السابع، 63، ترجمة حبيب أفندي بسترس، مطبعة القديس جورجيوس، بيروت، 1887،
13. Carvalho de Magalhaes, Roberto, Le Petit livre du GRAND ART, adaptation française: Maïca Sanconie, Editions Gründ, Paris, 2005.


* تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2014/10/15